وهرانية تنتحر حزنا عليه وصحيفة توزع صورا "لتخليد ذكراه"

تفاصيل إعدام منصة إعدام صدام على الطريقة (الإنكليزية)

عواصم/وكالات

قال خبير أردني إن عملية إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين من حيث طريقة تنفيذها، تبدو وكأنها تمت بخبرات بريطانية، مشيرا إلى أن الإنكليز اشتهروا بتنفيذ هذا النوع من الإعدامات التي تهدف إلى الموت السريع للمتهم.

وأشار الخبير، وهو مدعي عام سابق في المحاكم الأردنية وأشرف على تنفيذ عدد من عمليات الإعدام لمتهمين جنائيين خلال السنوات الماضية، إلى أن طريقة تنفيذ إعدام صدام تمت على أساس إحداث كسر في الرقبة ثم شلل فوفاة سريعة.

وأوضح الخبير، الذي فضل عدم الإشارة إلى اسمه، أنه تم استخدام حبل شنق من نوع "القش الجاف" وكان بسماكة كبيرة، ثم تم "تجديل الحبل بسماكة كبيرة أيضا، وتم وضع تجديلة الحبل على جانب الرقبة وليس خلفها ولم يتم شد الحبل بقوة على الرقبة وإنما جُعل متحركا حولها"، مشيرا إلى أن جعل محور ارتكاز حبل الشنق على جانب الرقبة "دون شدّه حولها" "يسهم في ارتفاعه بقوة تجاه الذقن والتفافه لحظة سقوط المحكوم عليه، الأمر الذي يؤدي إلى كسر الرقبة وإصابة المحكوم بشلل كامل ثم حدوث الوفاة".

وأضاف الخبير يقول "إن تنفيذ الحكم بتلك الطريقة يسبب وفاة أسرع للمحكوم من الطريقة التقليدية، التي تقوم على أساس وضع حبل أقل سماكة وأقل خشونة وشدّه حول الرقبة وجعل محور الارتكاز من الخلف.. تلك الطريقة تؤدي إلى وفاة المحكوم خنقا وتستغرق وقتا طويلا لكي يلفظ أنفاسه قد تصل أحيانا إلى 15 دقيقة".

وأعرب الخبير عن اعتقاده أن اختيار الطريقة "الإنكليزية" في شنق صدام حسين كان يهدف إلى تنفيذ عملية الإعدام بأسرع وقت ممكن، وتفاديا للاضطرار إلى تكرار عملية الشنق في حال تأخر المحكوم في لفظ أنفاسه، مشيرا إلى أن طريقة الشنق التقليدية ربما تفشل في أول مرة.

يشار إلى أن تقرير الطبيب الذي حضر عملية إعدام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، أكد أن الوفاة تمت بعد فتح كوة المشنقة بنحو 55 ثانية، وأن صوت طقطقة عظام الرقبة سمع للحضور بوضوح، فيما بقيت الجثة معلقة لنحو 8 دقائق قبل إنزالها.

وأشار الخبير الأردني كذلك إلى أن تصميم حبال المشانق يحتاج إلى متخصصين، حيث يتم أخذ وزن المحكوم وطوله، إضافة إلى قياس رقبته والقوة المتوسطة لضغط الدم، إضافة إلى قياس طول الذقن بالنسبة للرقبة، وعلى إثر ذلك يتم تصنيع حبل الشنق، مشككا في الوقت ذاته أن يكون الحبل الذي شنق به صدام حسين قد تم تصنيعه في العراق، بحسب ما يرى "بالنظر إلى أن عملية الإعدام تمت بحرفية عالية... بدليل حدوث الوفاة السريعة".

ويبدو أن طريقة الإعدام تركت جزائرية في حالة انهيار نفسي تام دفعتها للانتحار بالقاء نفسها من الطابق الثالث بعد تنفيذ حكم الاعدام في صدام، حسبما ذكرت أسرتها.

وقال أحد اقرباء السيدة (35 عاما) التي عرف عنها بالحرفين الأولين من اسمها "أ.س."، طالبا عدم كشف هويته إنها "صدمت بلقطات الإعدام" التي بثتها القنوات الفضائية العربية السبت والأحد.

وأضاف "كانت في حالة انهيار ولم تأكل أي شيء" منذ إعدام صدام حسين، موضحا أنها "القت بنفسها الثلاثاء الماضي من شقة والديها في الطابق السادس في حي يغمور اسن الشعبي في وهران". وقال المصدر نفسه إنها أصيبت بجروح خطيرة في الحوض والأطراف.

من جهة أخرى، ذكرت صحيفة "صوت الأحرار" أن اسم صدام أطلق على عدد من المواليد الجدد في منطقة الواد جنوب الجزائر تكريما "للزعيم العربي الراحل".

وذكرت صحيفة "الشروق" أن جزائريا في الشلف (غرب) "امتنع عن ذبح خروف يوم عيد الأضحى" بعد أن علم بإعدام صدام حسين. وأعلنت هذه الصحيفة أنها ستوزع قريبا على قرائها صور صدام حسين "لتخليد ذكرى الزعيم الراحل". وتوزع الصحيفة 150 ألف عدد يوميا.

أما صحيفة "الخبر"، فذكرت أن تاجرا في أم البواقي (شرق) حول محله التجاري إلى بيت عزاء. وقد رفع عليه لافتة كتب عليها "جزائري حرابي، إعدام الرئيس صدام حسين اغتيال لكرامة الأمة العربية الإسلامية".

في وصف صلابة صدام حسين أثناء تنفيذ حكم الإعدام فيه و مواجهة الإهانات

رفعت السعيد: الشجاعة هي القدرة على احترام الذات لحظة الموت

القاهرة/ وكالات

أثارت صلابة الرئيس العراقي السابق صدام حسين عند تنفيذ حكم الإعدام فيه يوم 30-12-2006 وفي مواجهة الإهانات التي "صوبها" إليه عدد من الحاضرين تساؤلات عديدة حول العوامل التي تجعل الإنسان شجاعا في مواجهة أقسى عقوبة والتي يعتبرها البعض أبشع من جريمة القتل لأن أي شخص يُقتل لا يعلم بذلك مسبقاً، وذلك بعكس الشخص الذي يُنفذ فيه حكم الإعدام.

ولكن هل كان صدام السياسي الوحيد الذي واجه الموت بهذه الصلابة؟

يجيب رئيس حزب "التجمع" المصري اليساري رفعت السعيد الذي اعتقل لسنوات في سجن واحد مع أعضاء في جماعة "الإخوان المسلمين" إن القطب الإخواني عبد القادر عودة الذي أعدم عام 1954 واجه الموت بشجاعة وذهب إلى الإعدام راسخا صامدا، مكتفيا بالذهاب إلى مظاهر قوة قال بصوت جهوري كان له صدى كبير في سجن الاستئناف، بيت الشعر الشهير:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

وفسر هذين الموقفين وغيرهما من المواقف المشابهة، بأن الشجاعة هي القدرة على احترام الذات في أصعب اللحظات مع صفاء الذهن الذي يقنع إنسان أنه ذاهب إلى الموت لا محالة، إذن طلعت وهو أيضاً إسلامي وكان مسؤول الجهاز السري للجماعة شنق في نفس اليوم مع عبد القادر عودة لكنه كان "في غاية الجبن وكان عاجزا عن المشي لدرجة أن اثنين من الرجال كانا يحملانه للذهاب به إلى مكان الإعدام".

وأضاف أنه عندما كان معتقلاً في سجن الواحات كانوا يتندرون بقضية "القفة" (سلة من سعف النخيل) وهي قضية قامت على ضبط أحد عناصر الإخوان وهو يحمل "قفة" بها متفجرات ولم يستطع الصمود فاعترف على زملائه ثم اعترفوا هم على آخرين حتى تم القبض على قرابة 400 شخص.

وذكر السعيد الذي يوجه نقداً لاذعاً لجماعات الإسلام السياسي منذ عشرات السنين، أن عبد القادر عودة شخصية مختلفة مقارنة بغيره في "الإخوان المسلمين" التي تضم تنويعات عديدة شأنها شأن أي جماعة سياسية، وأنه لم يأخذ حقه من الدراسة رغم أن له كتبا ودراسات بالغة الخطورة وتفوق خطورتها ما كتبه سيد قطب وأنه كان يتسم ببرجماتية شديدة.

وأوضح أنه في الوقت الذي كان يقول فيه بأن "الشرع كل واحد فمن أخذ بعضه وترك بعضه فقد كفر" كان يعمل محاميا ويترافع أمام المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية، وكان ممن فكروا في إنشاء جبهة واسعة من المعارضين للرئيس جمال عبد الناصر، تضم بين صفوفها شيوعيين.

وأكد أن كثيراً من غير الإسلاميين واجهوا أحكام الإعدام أو الموت بشجاعة منهم سكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني عبد الخالق المحجوب والنقابي السوداني شفيع أحمد الشيخ اللذين أعدما عام 1971، وأن المحجوب أرسل إلى بيته طالباً بذلة داكنة وقميص أبيض وحلق لحيته قبل الإعدام بربع ساعة ليغيظ خصومه ثم هتف بحياة الشعب السوداني والحزب الشيوعي السوداني.

وقال إن قتل القيادي الشيوعي المصري شهدي عطية الشافعي تحت التعذيب عام 1960 تعد واقعة أقوى من مواجهة الإعدام، إذ أنه قتل ضرباً لأنه رفض وظل يرفض أن يجيب الضابط الذي سأله "اسمك أيه ياولد؟".

ورداً على سؤال بشأن العلاقة بين الديكتاتورية والشجاعة أو الجبن، قال إن الديكتاتور والإرهابي عادة ما يكونان ضعيفين أمام العدو عندما يجردان من السلاح فهما يستمدان القوة من السلاح أو السلطة، وتجربة الإرهابيين في مصر تؤكد ذلك إذ اعترف كثير منهم على زملائهم. أما بخصوص الديكتاتور، فقد كان موسوليني ضعيفاً جداً عند إعدامه بينما كانت زوجة الرئيس الروماني الأسبق شاوسيسكو تزجره عند تنفيذ حكم الإعدام فيهما لأنه لم يكن صامداً بما يكفي.

فليذهب رجلاً ويعدم مكتسباً "كاريزما" واحتراما الآخرين بدلاً من أن يُعدم جباناً خصوصاً إذا كان الموت حتميا.

ورداً على سؤال حول تأثير "الحالة الدينية" التي كان عليها صدام وكون عودة عضوا في جماعة "الإخوان المسلمين"، قال السعيد إنه لا علاقة لهذه الحالة بما كان عليه الرجلان، فيوسف

حاكموا صدام وأعدموه فمن سيحاكم قوات الاحتلال؟

محمد رجب أبو رجب

حدث إعدام الرئيس السابق صدام حسين سابقة خطيرة في العالم العربي لكونه لأول مرة يحاكم رئيس دولة عربية محاكمة ظالمة ويحكم عليه بالإعدام، هذا أولا أما ثانيا لسابقة الخطيرة الاخرى، أن يكون قرار إعدامه قرارا أمريكيا بحتا مهما حاول الكثير تغليف الصورة، فالصورة فاقعة السواد، أمريكية الصنع، وما يلفت النظر هو اختيار التوقيت من الأمريكان لإعدامه، حيث تم هذا الإعدام يوم عيد الاضحى المبارك عيد المسلمين كل المسلمين، وهذه إهانة للإسلام من جانب، وقتل الفرحة بالعيد عند المسلمين، كنت سأضع عنوانا لمقالتي "صدام كبش العيد" ولكن صداما ليس كبشا، إنه أسد، أسد هذه الأمة العربية، أسد حتى وهو في قفص الاتهام أسد حتى لحظة صدور الحكم حيث وجه رسالة للعراقيين يدعوهم لوحدة الصف ومقاومة المحتل، أسد عندما رفض وحبل المشنقة يلتف حول رقبته أن يوضع القناع على وجهه.

محاكمة صدام هي محاكمة لكل العرب، ورسالة من الأمريكان لهم جميعا حتى يرضخوا للإملاءات ويقدموا التنازلات اللازمة، أمريكا وإسرائيل يثأرون اليوم من صدام حسين، فإسرائيل لم تنس الصواريخ الصدامية التي طالت قلب الكيان الصهيوني، والأمريكان أمتلكهم الخوف من التطور النوعي التكنولوجي العراقي، امتلاكه أسلحة متطورة، فهذا يشكل تهديداً لمصالحهم في المنطقة ولأمن إسرائيل.

حاكموا صداما وأعدموه لأنه كما يدعون قتل العشرات في محاولة إغتياله بالدجيل وعندما نسأل ماذا لو حصلت محاولة اغتيال لهم، كيف سيتصرفون؟

اليوم قوات الاحتلال تقتل المئات في كل يوم، وبلغ عدد القتلى من الشعب العراقي ما يزيد على النصف مليون والمشردون في الشتات ما يقارب الخمسة مليون من سيحاكم هؤلاء؟

أمريكا تقول للعرب ومن خلال إعدام صدام حسين، أنظروا ها هو أمامكم

ممنوع ان تمتلكوا أي سلاح يهدد أمن إسرائيل ومصالحنا أيها العرب

ممنوع عليكم مقاتلة إسرائيل وعليكم الاعتراف بها

أنظروا هذا النفط لنا، ولن نسمح لكم بأن تهددونا بين وقت وآخر هذا النفط هو سلاح في أيدينا وليس في أيديكم؟

أنظروا يجب ان تصعوا حدا للإسلاميين وتلاحقهم هم إرهابيين ويجب وقفهم؟

أنظروا عليكم ان تعيدوا النظر في مناهجكم التعليمية، وفي آيات القرآن التي تشير لإسرائيل!

نحن من يحكم العالم، هذا هو لسان حال أمريكا اليوم، هل نفهم هذا نحن العرب ومتى؟

التاريخ لن يرحم، وصدام سيبقى اسمه محفوراً في قلب كل مواطن عربي شريف ويكفي أن كانت آخر كلماته تحيا الأمة العربية فلسطين عربية.

كل ما نطلبه من الاشقاء العرب أن نحفظ هذه الكلمات جيداً ولا ننساها.

ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في اليمن

مسؤول حكومي يبرر "الرقص" حول جثة صدام بكونه تقليدا عراقيا

الأمم المتحدة تؤيد المناشدات لوقف تنفيذ الحكم بإعدام برزان والبندر

عواصم/ وكالات

فيما نفى مسؤول عراقي أمس الأول الخميس أن تكون وجهت "اهانات" إلى الرئيس الراحل صدام حسين أثناء عملية إعدامه، مبررا الرقص حول جثته بكونه تقليدا درج عليه الناس في العراق، أعرب الأمين العام للأمم المتحدة بان-كي مون عن تأييده للمناشدة التي أطلقتها المفوضة العليا لحقوق الإنسان لويز اربور لعدم تنفيذ حكم الإعدام بحق برزان التكريتي وعواد البندر، حسب ما أعلنت المتحدثة باسمه ميشال مونتاس.

ولكن هذا الدعم لا يشكل مع ذلك إدانة لا لبس فيها لتنفيذ حكم الإعدام بصدام حسين الأسبوع الماضي في بغداد، من قبل الأمين العام للأمم المتحدة الذي امتنع الثلاثاء عن التنديد بتنفيذ هذا الحكم.

وقالت مونتاس خلال لقائها اليومي مع الصحفيين إن "الأمين العام على بينة بالتأكيد بالنقاش الدائر ويتعلق بالغاء تام لعقوبة الإعدام" مضيفة أن الأمين العام "وحتى تحل المسألة، يحترم قانون الدول الاعضاء المتعلق بالموقف من هذه المسألة".

واضافت "مع ذلك، فإن الأمين العام يؤمن بالبند الثالث من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يؤكد حق كل شخص بالحياة والحرية والامن. وفي هذا الاطار يدعم كليا الدعوة للتريث التي وجهتها لويز اربور إلى الحكومة العراقية لتعليق تطبيق حكم الإعدام الذي أصدرته المحكمة العليا العراقية".

وكانت اربور دعت الأربعاء الماضي السلطات العراقية إلى عدم تنفيذ حكم الإعدام بالمتهمين برزان التكريتي وعواد البندر الذي صدر بحقهما مع الرئيس العراقي السابق صدام حسين متحدثة عن مخالفات في المحاكمة.

وأشارت اربور إلى أن شكوكها حول عدالة ونزاهة محاكمة صدام حسين تنسحب أيضا على الإجراء الذي أدى إلى صدور حكم بالإعدام على برزان التكريتي، الأخ غير الشقيق للرئيس المخلوع صدام حسين، والرئيس السابق لمحكمة الثورة عواد البندر.

وقالت اربور في بيان "لهذا السبب وجهت دعوة مباشرة إلى رئيس جمهورية العراق لتعليق تنفيذ هذين الحكمين".

وقد امتنع الامين العام الجديد للأمم المتحدة الثلاثاء في نيويورك عن التنديد بإعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين بالرغم من موقف المنظمة الدولية التقليدي المعارض لعقوبة الإعدام.

وفي سياق متصل، نفى مسؤول عراقي اليوم أن تكون وجهت "اهانات" إلى الرئيس المخلوع صدام حسين أثناء عملية إعدامه التي تخللتها "أخطاء" حسب قوله.

وتساءل مستشار الامن الوطني موفق الربيعي في لقاء مع شبكة "سي ان ان" الأمريكية للتلفزيون "اين هي الاهانة؟ صرخات الحاضرين؟ كانوا يدعون الله".

وأضاف – حسب زعمه – أن البعض من الحضور "ذكر في النهاية اسم مقتدى وقد رد (صدام حسين) عليهم. لا أرى أين هي الاهانة".

وتابع الربيعي "عندما غادرت المكان شعرت بالاعتزاز بما حدث. لقد تم القيام بكل شيء وفقا للقواعد. لكن مع الفيديو، هناك أخطاء ارتكبت يجب اخذ ذلك في الاعتبار كما يجب علينا ان نتحرك بهذا الخصوص".

وحول ما تردد عن قيام بعض الحاضرين بالرقص حول المشنوق، قال "انه احد تقاليد العراقيين. فهم يرقصون حول الجثة تعبيرا عن مشاعرهم فأين المشكلة في ذلك؟".

واعدم صدام حسين فجر السبت الماضي في مقر الاستخبارات العسكرية في حي الكاظمية شمال بغداد، تنفيذا للحكم الصادر في حقه في الخامس من نوفمبر لادانته في قضية قتل 148 شيعيا في الدجيل في ثمانينيات القرن الماضي.

في مذكرات وصلت إلى ابنته رغد

أوراق صدام الأخيرة تروي جهود ملء أسلمة (حزب البعث) أقنع عفلق بالإسلام

بغداد/متابعات

بخطّ يده، وبقلم حبر ناشف، وعلى أوراق صفراء بين دفتي دفتر كان بحوزته في الزنزانة التي قضى فيها الأعوام الأخيرة من حياته، سعى الرئيس العراقي السابق صدام حسين، فيما يبدو، لكتابة "مذكراته الشخصية" التي يتحدث فيها عن جهوده لأسلمة حزب البعث وكيف أقنع مفكره الأبرز "ميشيل عفلق" باعتناق الإسلام، وذلك إضافة أيضا إلى قصائد بالعربية الفصحى كتبها الرئيس العراقي المخلوع في تلك الأوراق قبل إعدامه.

ويؤكد وزير العدل القطري السابق، الدكتور نجيب النعيمي، الذي شارك في المرافعة عن صدام أمام المحكمة العراقية الخاصة التي كانت تنظر قضية الدجيل، بأن الرئيس السابق أطلعه على حوالي 27 صفحة، وطلب استعادة الأوراق ليتسنى له كتابة مذكراته الشخصية.

وأطلع المحامي القطري على بعض كتابات صدام حول مشاركته في محاولة اغتيال الرئيس العراقي الأسبق، عبد الكريم قاسم في 1963. وبحسب قوله، فإن صداما كان يطلب منهم قراءة ما يكتبه، ثم إعادة الأوراق إليه بغية استكمال كتابة مذكراته التي اشتملت على رؤيته لتاريخ وتطور حزب البعث.

وفي هذا الإطار، يؤكد النعيمي بأن صداما كان يقول له ولبقية المحامين، إن البعث ارتكب أخطاءً. ويميل النعيمي للاعتقاد بأن صداما كان في طريقه لتدوين ذلك، جنبا إلى جانب مساعيه لـ"أسلمة البعث" على حد وصف المحامي القطري.

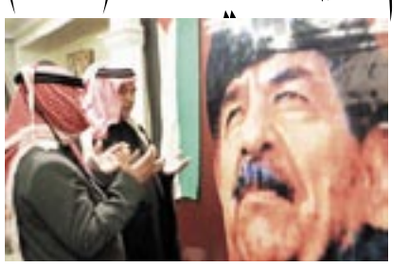

وقال النعيمي إن الرئيس العراقي السابق أسرّ له بأنه – صدام – كان سببا في اعتناق مفكر البعث ميشيل عفلق الإسلام. ولفت صدام النعيمي إلى أن "ضريح" عفلق، لمن يتمعن فيه، به علامات دالة على إسلامه. وكانت تقارير صحافية سابقة تحدثت عن إسلام عفلق، غير أن الجديد هذه المرّة، تأكيد صدام بأن عفلق اعتنق الإسلام فعلا، بعد حوارات ونقاشات دارت بين الإثنين فيما يبدو.

وكتب صدام للنعيمي قصائد في السجن على أوراق أخرى لم تنتزع من الدفتر، صاغها باللغة العربية الفصحى لإيمانه بأن الفصحى "هي لغة العروبة".

ويقول النعيمي إن الرئيس الأسبق لم يضع في مذكراته لمحات عن طفولته وصباه على حدّ علمه، فهو كان يسوّد الصفحات عن عمله السياسي، وعن رؤاه في تطوير وتحديث "البعث"، بالإضافة، ربما، لنقد التجربة.

وتحدث صدام عن شعور هيّأه في بعض الحكام العرب، مبينا لمحاميه بأنهم خضعوا الضغوط وإملاءات خارجية، غير أنه يحسب النعيمي، كان متفهما إلى حدّ ما مواقفهم رادا السبب إلى "الضغوط".

وأشار أيضا إلى أن الرئيس الأسبق تحدث بإسهاب عن "جسر جوي" بين بغداد والخرطوم لتقديم إمدادات عسكرية، من دون أن يحدد المحامي القطري نجيب النعيمي تاريخه.

ونقل النعيمي عن صدام قوله إنه أمر بالجسر الجوي قبل أن يصل مبعوث الحكومة العراقية إلى السودان، علامة على رغبته فيما يبدو في إنقاذ الموقف في السودان.

وكان جسر جوي عراقي قد أقيم بين بغداد والخرطوم لتدعيم الجيش السوداني نحو العام 1988 حين تعرضت الحكومة السودانية برئاسة الصادق المهدي لضغوط عسكرية من قبل الحركة الشعبية لتحرير السودان.

ويرجح النعيمي أن يكون اسم "الكتاب المفترض" الذي كان يكتبه صدام، ولم ينته من تدوينه على الأرجح، هو "مذكراتي الشخصية"، لافتا إلى أن الدفتر بالإضافة لأغراض شخصية أخرى، سلّم لابنته رغد في العاصمة الأردنية عمّان. ولا يعرف النعيمي ما إذا كانت كتابات صدام ستجد سبيلها للنشر أم لا.

نقلا عن صحيفة (الوطن) السعودية

ثقافة الثأر

حمزة قبلان المزيني

من المفارقات اللافتة أن يتزامن إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين مع وفاة الرئيس الأمريكي الأسبق جيرالد فورد. وكان فورد قد تمتع قبل وفاته بثلاثين سنة من الحياة كان في خلالها موضع تكريم وحفاوة أينما حل بعد أن تسلم الرئاسة الأمريكية خلفاً للرئيسُ الأسبق الآخر جيمي كارتر. وكذلك كان خلفه الرئيس كارتر الذي أمضى إلى الآن ستا وعشرين سنة ينعم فيها بالتكريم ويقضي وقته في تأليف الكتب وكتابة المقالات والمشاركة في كثير من المشاريع الخيرية التي تهدف إلى مساعدة الفقراء داخل الولايات المتحدة وخارجها. ولم يكن هذان الرئيسان الأمريكيان الوحيدين اللذين تمتعا بهذه الحياة الهانئة بعد مغادرتهما البيت الأبيض؛ فقد عاش الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون سنين طويلة معززا مكرما بعد استقالته من الرئاسة بسبب انتهاكه القانون الأمريكي. وعاش الرئيس الأسبق ريجان أكثر من عشر سنوات بعد مغادرته البيت الأبيض، وما يزال الرئيس بوش الأب، ومنذ ما يقرب من خمسة عشر عاما، ينعم بمستوى الحياة نفسه، وعاش الرئيس السابق كلينتون ست سنوات إلى الآن وهو محل حفاوة أينما حل في أمريكا وخارجها.

وتلفت هذه المفارقة النظر؛ ذلك أن العراق شهد في خلال العقود الخمسة الماضية قتل زعمائه كلهم تقريبا: وكان أولهم الملك فيصل الثاني الذي قُتل هو وأسرته بطريقة وحشية غير مسبوقة، وكان ثانيهم عبد الكريم قاسم الذي قتل بالطريقة نفسها، وكذلك الأخوان عبد السلام وعبد الرحمن عارف، وبعد ذلك أحمد حسن البكر الذي أزيح عن الرئاسة بطريقة مذلة لا تختلف عن الطريقة التي أزيح بها سابقوه إلا بدمويتها، ثم ختم هذا المشهد بإعدام صدام حسين يوم عيد الأضحى الحالي.

إن ما يحدث في العراق طوال العقود الخمسة الماضية لدليل واضح على تأصل ثقافة الثأر البدائية البغيضة التي تتخفى تحت ستار الانقلابات العسكرية أو المحاكمات الصورية. كما يشير إلى البون الشاسع بين ما تتمتع به الولايات المتحدة من ديموقراطية تحت حكم القانون وما يحدث في العراق الذي تسيطر عليه منذ أربع سنوات حيث تناقض مبادئها عبر تمكين بعض العناصر من التحكم فيه مع أنها لا تتمتع بالحدود الدنيا من تلك المثل.

ولا تختلف القيادة العراقية الحالية عن القيادات العراقية التي سبقتها؛ فقد اتبعت المنهج الثأري نفسه. وكان المنتظر منها، وقد زعمت أنها تبدأ عهدا جديدا مختلفا عن العهود السابقة، أن تفك الارتباط بينها وبين ثقافة الثأر الوحشية هذه وتتبع المسارات العالمية القانونية التي اتُّبعت في السنوات القليلة الماضية. ومنها محاكمة مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية أمام المحكمة الدولية في لاهاي كما حدث لرئيس يوغوسلافيا السابق ميلوسوفيتش، وبعض الزعماء الأفريقيين القتلة. وهناك مسار اتبعته جنوب إفريقيا بعد انتهاء حكم التفرقة العنصرية، وهو مسار يقوم على المصارحة التي تؤدي إلى اعتراف المجرمين بجرائمهم وتتبعها المصالحة التي تقوم على الصفح عنهم. وقد حققت هذه الطريقة قدرا عظيما من السلام في جنوب إفريقيا وأدت إلى شفاء النفوس من الجراح التي تسببت بها سياسة الفصل العنصري التي استمرت عقودا طويلة.

لذلك كان من الأوفق للحكومة العراقية إما أن تسلم صدام حسين لمحكمة العدل الدولية التي ستحاكمه بعيدا عن المؤثرات المحلية العراقية أو محاكمته والذين شاركوه في ارتكاب جرائمه أمام محاكم للمصارحة التي لا تؤدي إلى الانتقام بقدر ما تؤدي إلى العلاج النفسي للأمة كلها.

ولا شك أن صدّاما ارتكب من الجرائم ضد شعبه وضد الدول المجاورة ما يستحق عليه العقاب. لكن مسار محاكمته وتنفيذ الحكم فيه لن يؤديا إلا إلى زيادة الاحتقان بين الفئات المكونة للشعب العراقي لأن محاكمته أوحت بأنها لم تكن بسبب الجرائم كلها التي ارتكبها بل بسبب ما يتهم به من جرائم ضد فئة واحدة وحسب.

ولم تتحقق العدالة لا لصدام ولا لضحاياه من خارج الفئة التي تسيطر على الحكومة التي حاكمته. فقد كان محاكموه ينتمون إلى الفئة التي تسيطر على الحكومة العراقية وهم خصومه في الوقت نفسه. ولم يحاكم على ما تدعيه عليه الفئات الأخرى في العراق. وهذا ما يؤكد أن الفئة المتغلبة في العراق الآن ترتكب ما تتهم صدام به من استئثار بمقدرات العراق. إن الاكتفاء بمعاقبته على ما فعله في حق طائفة واحدة فقط إنما يؤكد بشكل لا لبس فيه أن عقابه لم يكن لجرائمه تجاه الإنسانية؛ بل كان بسبب جرائمه ضد طائفة معينة تظن أن لها من الحقوق ما ليس للآخرين من المواطنين العراقيين.

ويؤكد ما رافق إنزال عقوبة الإعدام بصدام أن مبعث هذه العقوبة لم يكن القصاص العادل النزيه بقدر ما كان تحقيقا لغريزة الثأر منه. فقد استمع العالم أجمع إلى بعض الشعارات الطائفية التي رددها بعض الحاضرين، واستمع إلى الهتافات باسمي زعيمين "سياسيين" عراقيين ينتسبان إلى الطائفة نفسها. ووصل مستوى التشفي منه إلى حد غير مقبول: فقد أمطره بعض الحاضرين باللعنات ووصفه بعض السياسيين العراقيين الذين حضروا إعدامه بالرعب والاستسلام الذليل للذين نفذوا العقوبة به وعدم مقاومتهم. إن هذه المواقف مما يحسب على هؤلاء السياسيين الذين اختاروا أن تكون محاكمته وإعدامه وسيلة لتغطية نزعتهم البدائية لأخذ الثأر، بدلا من أن تكون فرصة لرأب الصدع بين الفئات المتناحرة في العراق ولتعليم السياسيين العراقيين وغير العراقيين درسا في الصفح عند المقدرة والاحتكام إلى القانون وعدم استغلال ما يتوفر لهم من القوة.

لقد كان بإمكان هذه الفئة المتغلبة أن تضرب مثلا مبدئيا في الترفع عن الأخذ بالثأر. ولو فعلت ذلك لكانت قد نجحت في احتواء الفئات الأخرى في العراق وأدخلت عليها الطمأنينة وسلبت المتطرفين أمضى الحجج التي يتذرعون بها للقيام بأعمال القتل على الهوية الذي يجتاح العراق الآن.

ومن المشكلات التي أثارها تنفيذ الإعدام بصدام أنه كان إسهاما في الرمزية التي ظل التاريخ الإسلامي ضحية لها منذ عشرات القرون. إذ يشير تنفيذ الإعدام فيه في يوم عيد الأضحى إلى استحضار حادثة مشهورة أنزل الإنسان فيها إلى مستوى الحيوان الذي يضحى به، ويتبع من ذلك إنزال من يؤيد هذا الإنسان إلى المستوى نفسه. ولا شك أن العنف سوف يستمر ما دام الأمر وصل إلى هذا المستوى من الرمزية. كما يؤكد أن زعماء الفئة التي لا تزال تناصب الأمويين العداء يفعلون فعلا لا يختلف عما فعله أكثر ولاة الأمويين دموية.

إن من المستبعد أن يحل تنفيذ حكم الإعدام بصدام المشكلات التي يعاني منها العراق. بل إن هذا الفعل سوف يزيد من اشتعال الوضع لأن كثيراً من الذين يشتكون من الظلم الذي أوقعه بهم صدام يرون أنهم لم ينصفوا. وسوف تنظر بعض الفئات إلى هذا الفعل على أنه يأتي في سياق تصفية الخصوم وأنه ليس إلا حلقة في الصراع الطائفي العنيف الذي يذهب ضحيته آلاف الأبرياء من الطائفتين.

وبما أنه لا يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء فإنه يمكن للعراقيين من كافة الطوائف العمل على أن يكون هذا الحدث فاصلا بين ما دأبوا عليه منذ خمسة عقود من الانغماس في ثقافة الثأر، وما دأبوا عليه منذ أربع سنوات من قتل على الهوية ورغبة عارمة في استئصال المخالفين وبين مستقبل يبدأونه الآن يتمثل في العمل على رأب الصدع والتخلي عن تحكيم الغرائز.

ولا يخلو العراق من بعض الأصوات الواعية التي يجدر الاستماع إليها. ومن هؤلاء الشيخ (الشيعي) السيد إياد جمال الدين النائب في البرلمان العراقي الذي نادى منذ الأيام الأولى للاحتلال الأمريكي بقيام دولة مدنية لا تخضع للمحاصصة الطائفية وتحكم الزعماء الدينيين. وقد ظهر في مقابلة على قناة الجزيرة في الأسبوع الماضي وأكد أن الحكومة العراقية الحالية طائفية بامتياز وأنها تخضع لولاية الفقيه وإن كان بشكل غير علني. ودلل على ذلك بسيطرة المراجع الدينية على الانتخابات وتوجيه الناس، دينيا، لانتخاب قوائم تبارکها ومن خلال خضوع السياسيين العراقيين إلى مشيئة هذه المراجع في الشؤون كافة تقريبا (ومما يشهد بصحة قوله لجوءُ رئيس الوزراء العراقي الحالي إلى السيد علي السيستاني للحصول على فتوى تجيز تنفيذ حكم الإعدام بصدام يوم عيد الأضحى).

كما نادى بألا يقسم العراق "عرضيا" بحيث يكون الجنوب للشيعة والوسط للسنة والشمال للأكراد. واقترح أنه ينبغي بدلا من ذلك أن ينقسم العراق "طوليا" بحيث يكون هناك أحزاب ممثلة للفعاليات السياسية التي تتشابه في برامجها وينتمي إليها الأكراد والسنة والشيعة.

إن مثل هذه الأصوات العراقية الواعية هي التي تمثل مستقبلا واعدا للعراق ويمكن أن تنقذه من سيطرة الطوائفيين الذين لا يرون الإنسان إلا من خلال هوية واحدة يستمدها من الطائفة التي ينتمي إليها. لقد جر هؤلاء على العراق من القتل والتدمير أضعاف ما تعرض له في خلال العهود السابقة. وهذا ما يوجب على الوطنيين العراقيين التوحد للوقوف في وجه دعاة الموت والتفرقة وتبادل الثأر.